

العظة في عيد البشارة

الناصره ٢٥ آذار ٢٠٢٢

أشعيا ٧: ١٠ - ١٤؛ ٨: ١٠؛ عبرانيين ١٠: ٤ - ١٠؛ لوقا ١: ٢٦ - ٣٨

أيها الإخوة والإخوات الأعزاء،

ليكن سلام الرب معكم!

في كل عام من احتفالنا بعيد البشارة، نجتمع هنا في بيت العذراء مريم لتأمل في

سر التجسد.

يعلن المقطع الإنجيلي عن رجاء عظيم: "فَسَتَحْمِلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا فَسَمِّيهِ

يَسُوع... وَلَنْ يَكُونَ لِمُلْكِهِ نَهَايَةٌ" (لوقا 1: 31-33). "فَسَمِّيهِ يَسُوع"، والتي تعني

"الله يخلص". وفقًا للملاك جبرائيل، سيكون يسوع مخلصًا، وسيكون عظيمًا ولن يكن

ملكه نهاية. إنه إعلان مهم، مليء بالأمل، لكنه يبدو بعيدًا عن تجربتنا. بالنظر إلى ما

يحدث حولنا، لا يبدو لنا أن يسوع قد ملك على عالمنا هذا، وأن العالم قد حُلِّص.

إذا نظرنا بعد ذلك إلى واقعنا في الأرض المقدسة، فسيبدو أن المسيح لا يحكم فحسب،

بل إنه حتى موضوع السخرية والرفض. لقد رأينا مثل هذا المشهد من الرفض في الأسابيع

الأخيرة في القدس. حتى أننا نراها في بعض القوانين التي تُشرع، حتى لو علمنا أنها لن

تتم الموافقة عليها، فإنها تظهر موقفًا من الرفض الواضح لملكوت المسيح والمسيحية.

ولكن حتى مع ترك سياقنا المسيحي، إذا وسعنا نظرنا إلى العالم بشكل عام، فإننا نرى عدد الحروب والانقسامات الجارية، ليس فقط في الأرض المقدسة، ليس فقط في أوكرانيا، إنها تتزايد باستمرار.

علاوة على ذلك، كما أتاحت لي الفرصة للتكرار عدة مرات، لا نجد انقسامات في السياسة فقط، بل يبدو أن النزاعات والانقسامات في المدارس والأسر والمجتمعات متكررة وواسعة الانتشار على نحو متزايد. باختصار، قائمة الصراعات والانقسامات في مختلف مجالات الحياة طويلة. أريد ببساطة أن أقول إنه من ناحية، أعلن الملاك جبرائيل عن بداية مملكة جديدة للمخلصين، لكن من ناحية أخرى، نرى الكثير من الخراب حولنا، مما يدفعنا إلى الاعتقاد أنه، بعد كل شيء، لم يُخلص العالم حقًا، وأن مملكة المسيح لم تشق طريقًا في حياة البشر.

أين المملكة إذن؟ كيف تصدق كلام الملاك: "وَلَنْ يَكُونَ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ؟" أين تدخل الله، وكيف نرى عمله في العالم؟

دعونا نواجه الأمر: لم نعد نؤمن، أو لا نؤمن بما فيه الكفاية، بعمل الله في التاريخ، وفي حياتنا. إن الأحداث الشخصية والاجتماعية التي عشناها ونختبرها في السنوات الأخيرة، وربما حتى بعض الأفكار اللاهوتية، تتحدث إلينا عن إله يحترم الحرية، والذي "يتعاقد" لإفساح المجال للإنسان، الذي يعاني مع مخلوقه، والذي يشترك في الألم الذي يسير في دروب الحب بدلاً من السلطة. إنها كلها أشياء حقيقية، في الواقع حقيقية

جداً. ومع ذلك، فإنهم يخاطرون بالتوقف عند جانب واحد واستنفاد محبته في الشعور بالتقارب، الذي يشترك في كل شيء، ولكنه لا يحفظ شيئاً.

اليوم هنا في الناصرة، بدلاً من ذلك، يتضح لنا أن "الله يُخلص البشرية من خلال يسوع"! حبه وحنانه ورحمته فاعلة وصادقة وقوية. يقال لنا اليوم أن حبه ليس شعوراً، بل قراراً. وحبه يفتح طرقاً جديدة، يتدخل، يسأل، يقترح، يشق طريقه. تجعلنا البشارة نفكر في نشاط الله الخلاق والخلاصي. ولا يخبر المقطع الإنجيلي المعلن اليوم عن وهم، ولا خدعة، بل إعلاناً عن الحياة الحقيقية، عن واقع ما زلنا نعيشه اليوم: إنه الإعلان عن محبة الله الذي صار بشراً ويمكننا أن ندركه، والتي تصل بنا إلى أعماق هاوية وحدتنا، والتي تنتظر فقط استجابتنا الحرة والفعالة.

يتوافق الله الذي يريد أن يُخلص مع مريم التي تريد أن تصير أمّاً. ربما ننسى هذا أيضاً أن طاعة مريم ليست سلبية. نحن معتادون على التحدث والتفكير بـ "نعم" العذراء لدرجة أننا نعتقد أحياناً أنها اقتصرنا على قبول إرادة الله، لتصبح نوعاً من مجرد منفذة لها.

من ناحية أخرى، تدخل مريم في خطة الله تجعلها محور اهتمامها وعملها ومشاركتها، كما يتضح من زيارة إليصابات. بعد إعلان الملاك، انطلقت على الفور في رحلتها، لتدرك ما أعلنه الملاك لها، وللمشاركة في خطة الخلاص تلك، التي أصبحت الآن أيضاً مشاركة بها. لذلك، لا ينبغي قراءة "نعم" مريم على أنها قبول لخطة الله فحسب، بل كإرادة إيجابية للمشاركة في خلاص العالم.

وهنا يعود الأمر إلينا جميعًا أن نسأل أنفسنا: ما مدى نشاط إيماننا؟ هل تركنا الرغبة والالتزام في التغيير وإنقاذ العالم للآخرين؟ ألا نجازف أحيانًا بجعل الإيمان حالة عاطفية أو في أفضل الحالات، مجرد تفسير للواقع؟

من ناحية أخرى، فإن الإيمان هو قوة للتغيير. لا نريد فقط أن نحب هذا العالم، بل نريد حفظه. بالنسبة للمسيحي، الحب يعني الخلاص، حتى على حساب حياته. لا ينسحب المسيحي إلى نوع من التكريس المتطور، ولا يخاف من الانقسامات والرفض والاضطهاد. إيمانه لا يفشل بسبب وجود الشر في العالم. على العكس من ذلك، فهو منفتح بشكل أساسي على حياة العالم، ويريد أن يغيرها ويصبح بانيًا نشطًا للملكوت. هذه هي الطريقة التي يسود بها المسيح في العالم، بحسب كلام الملاك: من خلال آلام المؤمنين ومحبتهم، من خلال الكنيسة التي، رغم كل شيء، حتى يومنا هذا تستمر في إعلان الخلاص.

هذه الرسالة هي قبل كل شيء رسالتنا، كنيسة الأرض المقدسة، الكنيسة الأم. دعونا لا نضيع كثيرًا في تحليل المواقف المأساوية الذي نمر به. نحن نعلم أن الأوقات الصعبة تنتظرنا، لكننا لسنا خائفين. لا أحد يستطيع أن يفصلنا عن محبة المسيح (رومة 8 ، 35) ، ولا أحد يستطيع أن يطفئ رغبتنا في تغيير العالم وإنقاذه، ولا يستطيع أحد أن يسرق منا حلم أسلوب حياة مختلف، لا أحد يستطيع أن يخمّد شعلة اليقين بالخلاص والذي هو أقوى من أي واقع آخر.

اليوم نحن أيضاً، كنيسة الأرض المقدسة، أتينا إلى هنا إلى الناصرة، إلى بيت العذراء مريم، لنؤكد مجدداً "نعم" على خطة الله لخلاص هذه الأرض، ونعيد تأكيد التزامنا بهذا التغيير وهذا الخلاص. كما قال الملاك جبرائيل لمريم: "فما من شيءٍ يُعجزُ الله" (لوقا 1: 37).

†بييرباتيستا بيتسابالا
بطريك القدس للاتين